

لبنان، قبل وبعد سايكس بيكو، ربما لا يهوي، ولكنه سيهتز بقوة

1. ملاحظات افتتاحية

1.1 لبنان ما قبل سايكس بيكو

1.1.1. إن التعايش بين الطوائف، والخصوصية اللبنانية على جغرافيا محددة، كانا موجودين

لقرون قبل سايكس بيكو. وتجلّى هذا الوجود عبر الإمارة في جبل لبنان، حيث نحا

الأمرء إلى زيادة حرية تحركهم وتوسيع مناطقهم ضمن السلطنة، وفي بعض

الأحيان بالرغم عنها، كما رأينا مع فخر الدين وبشير الشهابي الثاني..

1.1.2. أخذت تلك الخصوصية، بعد أزمت 1840 و 1860، شكلاً قانونياً، معترفاً به

ومضموناً دولياً، عُرف بالمتصرفية. وهو حكم ذاتي، دام ستون سنة (1861-

1915) ضمن السلطنة مع متصرف مسيحي غير لبناني من مواطني السلطنة،

ومجلس حُكم منتخب، وقضاء، وجندرية، إلخ .. أي نواة شبه دولة، سعت

البطيريركية المارونية بكل جهد إلى توسيعها وترسيخها.. وكانت المتصرفية مرحلة

خير كبير على لبنان، أسست لتقدمه في محيطه بعد انهيار السلطنة العثمانية...

1.1.3. إن مشروع «تكبير جبل لبنان» كان موجوداً في ضمير جورج بيكو لسنوات قبل

جلوسه مع سايكس، يوم كان قنصلاً في بيروت قبيل الحرب العالمية الأولى. وهو

من سلم أرشيف القنصلية الفرنسية إلى القنصل الأمريكي ... (والرئيس الفرنسي

Giscard d'Estaing من سلالة بيكو). لكن حدود لبنان الكبير لم تكن محددة

قبل أو بعيد الإتفاق بل تم ذلك نهائياً في معاهدة سان ريمو في نيسان 1920

وبعد مخاض طويل.

2. ملاحظات في سايكس بيكو...

2.1. عامة، جاء هذا الإتفاق على حتمية انهيار السلطنة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وتنظيم

المنطقة من بعدها، ولكنّه جاء أيضاً على خلفية قيام دول تخلف السلطنة وتحمي الأقليات فيها.

وهو في مجال حماية الأقليات، أتى في سياق معاهدة سان ستيفانو وبرلين سنة 1878 التي

حصلت نتيجة مجازر الأقليات التي بدأت في تلك الفترة واستفحلت ما بين عامي 1915 و

1918. كما أن هذا الإتفاق هو سليل عدة اتفاقات ومعاهدات متزامنة حول تنظيم المنطقة

تحضيراً لسقوط السلطنة: معاهدة لندن (1915)، معاهدة Saint-Jean de Maurienne

(1917)، الإتفاق الإيطالي - اليوناني TITTONI - VENIZELOS؛ وكان كل من روسيا وإيطاليا

والشريف حسين (1919) قد أخذوا علماً باتفاق سايكس بيكو. استفاد لبنان الكبير من تلك

الأجواء.

2.2. السكان المحليون لم يستشاروا عامة في مضمون الإتفاق السري لكنهم كانوا أساسيون في مرحلة

التطبيق: الموارنة في لبنان، السوريون رفضوا المناطق المفدلة، لواء الإسكندرون أُعطي

لأتاتورك. العراق "هندسه" الإنكليز بشكل شبه كلي، والأردن أيضاً، لضرورات جيواستراتيجية

للفصل بين تركيا وإيران والسعودية وسوريا. لذا، فإن العراق هو "قلب استقرار" منطقة سايكس -

بيكو وربما أيضاً ما يأتي بعده.

2.3. أحداث كبيرة جداً حدثت ما بين التوقيع والتنفيذ: الثورة البولشفية أخرجت روسيا من تنظيم

المنطقة؛ خروج كليمنصو أعدم حظوظ المملكة الهاشمية العربية.

2.4. لم يكن السوريون وحدهم ضد توسيع المتصرفية في جبل لبنان؛ بل بعض كبار الإدارة الخارجية

في فرنسا أرادوا زيادة بعض السهول والمرافئ حصراً على جبل لبنان، ونصحوا بذلك؛ حتى أن

بعض الدوائر الإنكليزية تعجبت من نية التوسيع هذه عند الموارنة (David Fromkin) . إلا أن

المصالح الفرنسية في المحافظة على حصريّة مرفأ بيروت في خدمة دمشق دفعت بغورو إلى

إدخال طرابلس وسهل عكار على لبنان الموسع، والصراع مع الإنكليز أوحى بضم مناطق

الجنوب ما بعد اللبثاني؛ وأدخلت هذه التعديلات على الخرائط الأولى التي كان البطريرك

الحويك قد حملها إلى مؤتمر فرساي؛ حتى أن إعلان غورو لبنان الكبير في حدوده أتى مفاجئاً

للحكومة الفرنسية بتوسيع رقعته على حساب سوريا الى هذا الحد (Gerard khoury et le

Télégramme de Millerand à Goureau). وكان أكبر حتى مما أراده أمثال داوود عمون

من اللبنانيين.. وأتى التكبير "الكبير" بدفع من نتائج معركة ميسلون وخسارة كليمنصو السلطة في

فرنسا والذي كان مع مملكة لفيفل تمتد على أجزاء من سوريا والعراق!

2.5. العلاقة الفضلى للبطيركية المارونية مع فرنسا وقدرة فرنسا ومصالحها بعد الحرب الأولى تناغمتا

بتوسيع متصرفية جبل لبنان، دون أي اعتبارٍ للتوازنات السورية - اللبنانية والديموغرافية -

السياسية التي قد تنتج عن ذلك، لأن عقلية تلك الفترة كانت أن الأرض والمساحات والأنهر

والسهول والمرافئ أهم من الشعوب وحقّ تقرير مصيرها، ويضاف إليها ذلك الاعتقاد بديمومة

الانتداب. لذا فإن العديد من الإشكاليات الحالية في لبنان متأثرة بنيويّاً بالتطبيق الفرنسي -

الماروني "لسايكس بيكو، إذ إنه وضع الحلم الماروني بالعودة إلى الحدود "التاريخية" قيد التحقيق ولكنه خلق مشكلات بنيوية أساسية وهي:

1. في علاقته المتشجّجة مع سوريا منذ الإستقلال: الإتفاق أسس للعلاقة المتشجّجة بين لبنان وسوريا، عبر ضم الأفضية الأربعة، وعبر ظن السوريين أن لبنان سيكون مدخلاً للإستعمار الفرنسي عليهم، لذا بلّغوا مؤتمر فرساي في آذار 1920، و عبر قرارات المجلس الوطني السوري المرسلّة إليه، أخذهم بعين الإعتبار تمنيات اللبنانيين بالخصوصية لكن ضمن حدود لبنان الحالية (أي المتصرفية) "شرط أن لا يكون تحت تأثير أي قوة خارجية!"... هذه التشنجات ما تزال مستمرة حين اليوم وإن تغيرت في الشكل والمضمون.

2. في «اتهامه النفسي» من قبل القوميين العرب بأنه جزء من التفشيل الإستعماري للحلم العربي الكبير في مملكة عربية على كل البقايا العربية من السلطنة.

3. في تغيير كلي للتوازن الديمغرافي الذي كان سائداً في المتصرفية بالنسبة إلى المسيحيين، من 75% في المتصرفية الى 52% عند نشأة لبنان الكبير سنة 1920 الى نحو 35% اليوم وعدم التوقف عند بعض الإقتراحات الفرنسية باعتماد هيكلية نظام حكم ملائم لتلك التعددية الصعبة. (Robert de Caix)

4. في نية حكام الدولة اللبنانية الناشئة ومقدرتها على تلبية مطالب شعوب مناطق الأفضية الأربعة الفقيرة إجمالاً.. وقد ظلت شعوب الأفضية الأربعة "خارج" دائرة التأثير الأول في الحكم الماروني-السني حتى دخول القوى السياسية للطائفة الشيعية الحكومات بعد الطائف والمعبأة من الإمامين، الصدر والخميني، والمدعومة من عهدي الأسدين ، الأب والإبن... وهذا هو العنصر الفاعل الأهم في لبنان بعد سنة 1991... وحتى اليوم.

2.6. عوامل عديدة كان لها وقع أهم من Sykes-Picot على المنطقة أثرت في إضعاف لبنان أكثر من مشاكله البنيوية من تطبيق سايكس بيكو.

2.6.1. وعد بلفور (المتزامن تقريباً مع Sykes-Picot) وقيام دولة إسرائيل والصراع معها وما أدى إليه من لجوء فلسطيني وقيام حكم العسكر والقوميين في سوريا والعراق والكثير من البلدان العربية الأخرى وتدخلاتها في لبنان.

2.6.2. عدم قدرة معظم دول المنطقة المستقلة عن الإستعمار بعد الحرب العالمية الثانية على تلبية حاجات شعوبها؛ مما أدى إلى انهيارها اليوم فوق رؤوس أبنائها ورؤوس جيرانهم!

2.6.3. كذلك الثورة الخمينية وتفاقم الصراعات الإيرانية - العربية والمذهبية ضمن العالم العربي والإسلامي.

2.6.4. الربيع العربي الذي أشعل الحرب السورية وأطلق عنان حركات الإسلام السياسي وصراعاتها بين بعضها ومع الآخرين، إن ديمقراطياً في تونس أو أمنياً في مصر أو عسكرياً في ليبيا وسوريا.

3. أما اليوم، فماذا نعني بانهيار أو زوال سايكس بيكو؟

هو أن تزول حدود الدول التي خلقها سايكس بيكو.. وقد زالت الآن بين سوريا والعراق وبين سوريا و أجزاء من لبنان. علماً أن النظام الدولي الحالي 'يفضل عدم المساس بحدود الدول، غير أنّ لا قوة دولية أو إقليمية اليوم لديها النية أو هي قادرة على تغيير الوضع على الأرض؛ الإتكال هو على نشوء قوى محلية عندها صفة ونية إعادة توحيد البلدان يمكن دعمها؛ وهذا سيكون المفصل في إعادة التوحيد أو تشريع الواقع على الأرض.

3.1. مقارنة اليوم مع سايكس بيكو

3.1.1. سايكس بيكو ثنائية المنتصرين تقاسمت مناطق نفوذ ولديها قدرة على التنفيذ الذي أتى

بإشراف قوة واحدة ضمن منطقة نفوذ كل منهما مع شريك محلي موجود في لبنان،
وآخر تمّ جلبه (الهاشميين في العراق والأردن) وأتى ضمن سياق طويل من التحضير
والتفاوض حول تنظيم المنطقة بعد سقوط السلطنة وليس كما هو الآن تحت وطأة
حروب ضارية.

3.1.2. اليوم هنالك تعددية عالمية ومناطقية مع أرجحية أمريكية "دبلوماسية" تختار شريكاً

مناطقياً أو دولياً يستطيع هو أن ينجح بالتنفيذ:

- مع إيران: أمريكا بنفسها.
- في العراق: أمريكا وإيران، والسعودية وتركيا إلى حد ما،
- في سوريا: أمريكا مع الروس باهتمام إيراني من جهة وسعودي - تركي من
جهة أخرى.

▪ في اليمن: السعودية تكفي ربما

▪ ليبيا: مصر وأوروبا مع أمريكا من بعيد

3.1.3. وعي كبير لمصاعب الأقليات كأيام سايكس بيكو، بعد تجربة مرّة لأقليات المنطقة

مع أكثرياتها القومية أو الدينية أو الطائفية في دول ما بعد الإستقلال. مع المرونة في
تلبية حقوق الأقليات عبر تشكيل الأنظمة في داخلها.. ولكن دون فرض بالقوة أو
بأحادية (ردة الفعل السلبية على إعلان أكراد سوريا الفدرالية).

3.1.3.1. حزب الله يظن أنه اليوم كموارنة 1920 بفضل جهد الحزب و جهاده

والدعم الإيراني له ... لديهم دعم إيران صحيح، ولكن أيضاً عداوة مرة

من باقي المعنيين، بينما الموارنة كانوا وحدهم تقريباً مع الفرنسيين.

3.1.3.2. شيعة العراق محتارون بين أمريكا وإيران والسنة فيه ضد الإثنيين

3.1.3.3. الأكراد مدعومون من الجميع ما عدا تركيا

3.1.4. أيضاً، وخلافاً لما كان زمن سايكس بيكو، سوف يؤخذ بعين الإعتبار إرادة الشعوب

المحلية وإرادتها في العيش معاً أو في الانفصال أو في الإتحاد.

3.1.5. إذآ، سايكس بيكو لم يعد قائماً، إن لجهة القوتين اللتين فرضتا تنفيذه، وإن لجهة حدود

الدول وتماسكها، أو لجهة إرادة الشعوب المحلية في العيش معاً.. الإتحاد لما بعده ما

يزال غامضاً،

3.1.6. تمتاز هذه الأزمة ببطء دولي في معالجتها لعدة أسباب،

3.1.6.1. تشنج أمريكي - روسي بعد تدخل الأخيرة في كرميا وأوكرانيا.. تجاوزاه

مؤخراً ويتعاونان في سوريا.

3.1.6.2. عدم إستعجال أمريكية ضمن حدود أمن إسرائيل وسريان النفط، لعدم

جهوزية الأطراف المحلية والإقليمية للحل وربما أيضاً لسياسة خفية بانهاك

النظامين السعودي والإيراني حتى فرض التغيير عليهما: الوهابية في

السعودية والمتشددين في إيران والتي تضغط المحاكم الأمريكية على

دولتيهما، لتدفعاً بتعويضات عن أحداث جثيمة كان لمواطنيها أو مؤسستها

شأن بها!

3.1.6.3. ضغط النازحين وضرب الإرهاب داخل أوروبا سرّع التفاهات الدولية

دون تغيير حاسم للمجريات على الأرض وعلى تعاون الدول الإقليمية.

3.1.6.4. روسيا سيطرت على سوريا المفيدة وأمنت مصالحها الغازية وفرضت

الشراكة على أمريكا، ولن تذهب أبعد على الأرجح

3.1.6.5. أوروبا مأزومة باللجوء وعاجزة

3.2. مؤخراً تتنامى الدعوات (مثلاً David Ignatius في الـ Washington post في

05/05/2016) إلى قيام مؤتمر دولي عام لإعادة تنظيم المنطقة (وليس فقط على طريقة

الركض لإطفاء الحرائق) بين تركيا - مصر - أمريكا - روسيا - إيران - السعودية. أنا من هذا

الرأي أيضاً ، وأعتقد أنه وحده مؤتمر دولي عام جدي ومستمر لتدبير شؤون المنطقة يمكن أن

يوقف حمم الأحقاد والتدخلات والإلتجاء الى القوة والإرهاب :

3.2.1. على شاكله مؤتمر فيينا (September 1814 to June 1815) بعد هزيمة

نابليون، والأرجحية الروسية - الإنكليزية عندها هي أرجحية أمريكية مع شركاء عديدين

حسب كل بلد أو منطقة؛ قد يؤسس هذا النوع من المؤتمرات الى تعاون مناطقي واسع،

وأنا أستبعده نظراً للرفض العربي والسني لتدخل إيران في المنطقة العربية.

3.2.2. أما على شاكله معاهدة (Westphalia (1648 may-october عربية - تركية -

إيرانية، أي عدم التدخل والمساواة بين الدول واحترام سيادتها. هذا ممكن، نظراً للرفض

العربي والسني لتدخل إيران في المنطقة العربية من جهة ، والى الوهن والتغيير

الحاصل داخل كل من إيران وتركيا والسعودية وحاجاتها كلها إلى إدارة الداخل أكثر من

التوسع في الخارج والإنزلاق إلى حروب إقليمية. أتمنى هذا الإتجاه.

3.3. والآ،

3.3.1. إلى حرب "كريميا أخرى" (1853 - 1856) في حال تأزم العلاقات الأمريكية

الروسية، مع رئيس أمريكي غير أوباما. أخاف هذا الإتجاه.

3.3.2. أو توازن حرب باردة مثلثة بين إيران - السعودية - تركيا يؤدي الى تقسيم فعلي على

الأرض قد يطول. أرجح هذا الإتجاه على المدى القصير.

3.4. في هذا الخضم ، لا ننسى الصراع العربي - الإسرائيلي المنسي والذي يُلقي بظله القاتم

على المنطقة، ويظل راية كل المناضلين العرب؛ حمل الديكتاتوريون رأيتهم في الأمس واليوم يحملها

"الأمبراطوريون الجدد" كما الإسلاميون من كل منبع. لا استقرار في الشرق دون حل عادل في

فلسطين.

3.5. وهكذا مؤتمر دولي مهم للبنان، لأن :

3.5.1. أكثرية تلك الدول مع الأمم المتحدة مقتنعة بفرادة وقيمة لبنان ودعم عدم انحياز لبنان

في الصراعات الإقليمية ؛ من المهم التذكير بأن حياد سويسرا تم إقراره في مؤتمر فيينا،

بعد هزيمة نابليون.

3.5.2. سوريا التي هيمنت على قرار لبنان منذ التسعينات، غائبة اليوم، كما كانت بعد معركة

ميسلون.

3.5.3. هاجس المحافظة على الأقليات الإسلامية والمسيحية وغيرها أقوى اليوم مما كان.

4. مع ما هو قائم اليوم داخل لبنان وخارجه، فإن لبنان فعلاً في خطر، مجتمعاً ودولةً وكياناً.

4.1. خرجت سوريا من لبنان سنة 2005 ولكنه ما زال يعيش سياق المرحلة السورية التي أسست

أوضاع تغييرها سوف يكون صعب وطويل:

4.1.1. خلال الفترة السورية (1991-2005)، زال مرحلياً لبنان الكبير سياسياً، وباتت القرارات

الهامة لسوريا؛ في الفترة السورية، ترك الحكم الإستراتيجي الى قيادة سورية مركزية

تتعاطى كحكم مع زعماء الطوائف الإسلامية وغياب معظم قادة المسيحيين

المتصارعين في ما بينهم؛ يطمح، على الأرجح، حزب الله الى وراثة ذلك الدور السوري

لأنه يعتبر نفسه الحامي الإستراتيجي للبنان والناظم لشؤونه.

4.1.2. جرى الفصل، مع اتفاق الطائف، بين سلاح حزب الله وتواجده في الجنوب في مواجهة

إسرائيل وتطبيق الإتفاق. تقوى حزب الله وجمهوره كثيراً في تلك الفترة على مرأى كل

القوى الإقليمية والدولية.

4.1.3. قبول بخصوصية "مسيحية" في بعض جبل لبنان، حتى من قبل حافظ الأسد، ترجمت

بعدم دخول الجيش السوري لأقضية المتن الشمالي وكسروان وجبيل والبترون على أن

يُقصى من الحكم أو حتى من البلد من يعارض سوريا في تلك المناطق، ودخول

"زعماء" المناطق الأخرى الدرزية، والشيعية، والسنية، وبعض المسيحيين جنة السلطة

والمحاصصة المركزية وتقاسم المناصفة التي قال بها الطائف: نيابياً من قبل البعض

وإدارياً من قبل البعض الآخر...

4.1.4. وكل هذه الأمور، أي علاقة حزب الله بدولة الطائف، والمشاركة المسيحية جزء مهم

من لائحة تحديات وجودية يواجهها لبنان "سايكس بيكو"، بأهمية الصراعات في الإقليم

وعلى مستقبل المنطقة.

4.2. عند الخروج السوري، ذهب الرأس وبقي الجسد...

4.2.1. ظلت التركيبة الداخلية ذاتها: أحاديات أو ثنائيات طائفية تسيطر على طوائفها وتملك

حق الفيتو باسم الميثاق؛ لكن عملياً ، بعد استشهاد الرئيس الحريري والخروج السوري سنة 2005، لبنان في عملية تغيير ملموس في نظامه السياسي نحو إتحادية طائفية وفي سياساته وتموضعه الإقليمي وذلك بتأثير حزب الله ووزنه على الساحة. بعد فراغ الرئاسة، أضيف حق الفيتو للطوائف في كل من مجلس النواب والحكومة... مما يؤدي اليوم إلى شلل كامل على مستوى القرار واستفحال الهدر والفساد نظراً لإلغاء المعارضة ضمن كل طائفة وسيطرة زعماء الطوائف على التعيينات في الإدارات العامة والقضاء وحتى، مع حدود طبعاً، في مؤسسة الجيش.. كل ذلك مع استعمال التعطيل أو حتى القوة للتأثير على القرارات السياسية والإنمائية والإقتصادية...

4.2.2. هذا النظام القائم de facto ممكن نظرياً لو كان هنالك رئيسٌ حكمٌ واتفقٌ وطني

بالإبتعاد عن الزبائنية واحترام حصانة الإدارة والقضاء وخلق المنافسة الديمقراطية ضمن الطوائف واعتماد المحاسبة والشفافية في الدولة المركزية والذهاب إلى لامركزية إنمائية موسعة نصّ عليها أصلاً اتفاق الطائف. وكلُّ ذلك بعد فك أسر الشرعية من سلاح البعض خارجها، ومن سيطرة البعض الآخر عليها للحماية من السلاح خارجها... علماً أن اتفاق الدوحة نص على حوار وطني حول موضوع السلاح.. وأمسى الحوار اليوم عن كل شيء، ما عدا السلاح!

4.2.3. تتسارع عملية التغيير أو تبطأ بحسب الظروف الإقليمية وقوة الخصوم؛ ترجح التعاون

مع تيار المستقبل عند مرحلة الإستيعاب والمراوحة، ومع تيار عون للسير بالتغيير،

وكل ذلك حسب السرعة المطلوبة في المشهد الإقليمي.

4.2.4. الحرب السورية الإقليمية هي أولوية حزب الله. بطأت عملية تغيير النظام مع دخول

حزب الله الصراع السوري والإقليمي، بعد أن كانت قد تسارعت كردة فعل على حرب

2006 وتجلت في الحكومة الميقاتية.

5. نظرة إلى المستقبل على المدى القصير: أرجح أن يظل لبنان يهتز بقوة، نظراً لجاذبيات مهمة ستحكمه

من الآن فصاعداً: أوافق الرئيس بري أن 14 و 8 آذار انتهيتا وأنا أظن أن الساحة الإستراتيجية

السياسية في لبنان دخلت مرحلة جديدة عنوانها: عوامل وقوى جذب خارجي تواجه قوى وعوامل

جذب داخلي.. والنتيجة سوف تحسم إذا يبقى لبنان الكبير كما هو أم لا!

5.1. عوامل وقوى الجذب الخارجي

5.1.1. خلاصة الحرب السورية ستؤثر قطعاً على لبنان، فهل يبقى النظام الجديد في سوريا

ملتزماً بمشروع الممانعة والمواجهة؟ هل يكون عنده القوة الذاتية للمدافعة عن ذاته

ومشروعه أو مضطراً إلى دعم دائم من الخارج وانخراط من حزب الله؟

5.1.2. هذا الـ «Zoning» في المحيط يؤثر على لبنان وهو أحد حقول الجذب المهمة حوله :

أقلية كردية محمية أمريكياً، أقلية علوية تحميها روسيا وتنافس عليها إيران، وأقلية

شيوعية مدعومة من إيران... مع الحماية الأمريكية لإسرائيل وتواجد سني مدعوم من

الأردن جنوب سوريا ومن تركيا في شمالها ومن السعودية لكليهما؛ بلقان الشرق الأوسط

على حدودنا...الله يستر لبنان!

5.1.3. حزب الله قوة أعطت لبنان الكثير في التحرير من إسرائيل وردعها وقدمت الكثير من

الشهداء والتضحيات وأمنت للبنان قوة عسكرية مهمة إلى جانب الجيش الذي طوّر قدراته فعلاً، فأضحى لبنان لديه قوة فعلية لأول مرة منذ نشأته... لكن أيضاً هذه قوة إقليمية شيعية وليست فقط طرف سياسي عسكري - أمني لبناني. هنالك وزن عربي للسعودية منذ زمن في العالمين العربي والإسلامي وهي تسعى اليوم إلى زعامته لتواجه إيران؛ وفي المقابل، سيحاول حزب الله تزعم المسلمين غير السنة وإذا أمكن أقلّيات أخرى في العالم العربي ليكون الطرف الآخر في وجه السعودية وهو عربي مثلها.. ولكن ليس لحزب الله شرعية كدولة.. لكنه سوف يحاول إجبار الدولة على مسانדתه، وهي عاجزة... فكيف سيكون حاضراً على طاولة المفاوضات وهو الموصوم بالإرهاب؟ هل يحاول لهذا السبب الهام ربط سياسة الدولة به أكثر، عبر الرئيس المضمون وقانون إنتخاب يعطيه أكثرية نيابية يحكم من خلالها؟ وما ردة فعل العالم كله على ذلك؟

5.1.4. حرب إسرائيلية ممكنة على حزب الله، محاولة أخرى للقضاء عليه في الوقت المناسب

لها. علماً أن تأمين أمن حدود إسرائيل مع لبنان منذ حرب 2006 ومجريات الأمور في سوريا والوجود الروسي فيها وتنسيق حزب الله معه والردع الإيراني المفروض، يجعلني أستبعد تلك الحرب في القريب العاجل، دون إلغاء احتمالها في أي وقت، خاصة على ضوء الإعلانات العدائية والإجراءات القاسية ضد حزب الله من أمريكا والعرب وتؤشر لعزله ، إلا من دعم قوي إيراني.

5.2. كما أن هنالك عدة عوامل داخلية تهز مناعة الدولة وقدرتها على التوحيد، على المدى القصير.

5.2.1. رغم الشهداء، لم يعط معظم قادة لبنان صورة مشرقة عنهم وعن قدرتهم على حكم

بلدهم بعد خروج سوريا.

5.2.2. عدم انتخاب الرئيس بطاً، إلى حد التوقف، كل مؤسسات القرار السياسي في الدولة.

5.2.3. عمّ الهدر عبر "الحشو" في الدولة، واستفحل الفساد الفضائي لينخرها ويمنعها من

القيام بالخدمات الحيوية للمواطن.. ويُقيم في وجه القوى السياسية الرئيسية حركات

اعتراض هامة... مما يهز التقاهمات السياسية ويحرك الشارع. فساد التكتل الحاكم منذ

الوجود السوري حتى اليوم وسيطرته الكاملة على أكثرية الطوائف أنهك الدولة وشلتها..

وأضعف سلطة الجذب المركزية إلى حد التلاشي.

5.2.4. الوضع الإقتصادي متردّ من جراء النزوح السوري وحصار دول الخليج للإقتصاد

اللبناني والإجراءات الأمريكية للضغط على حزب الله، ولا نعلم متى يخرج الوضع عن

القدرة على ضبطته ويتّج وضعاً اجتماعياً متفجراً، خاصة أن "حزب الله" اتخذ موقفاً

علنياً من هذا الشأن يعني ضمناً بأنني لن أسقط وحدي بل سأجعل الجميع يسقط

معي.. مما يُنذر بعوامل شديدة الخطورة وداهمة على لبنان.

5.2.5. مالية الدولة تئذر بالأسوأ. لبنان على خطى اليونان، مع الأسف.

5.2.6. المطالبة المسيحية بالمشاركة وتغيير معادلات الحكم الراجعة منذ 25 سنة.. وما يتبع

ذلك من تشنج وطني متوقع.

6. في المقابل، عوامل وقوى "الجنب الداخلي" مهمة أيضاً: الإستقرار طيلة هذه الفترة الإقليمية الكارثية

يوئشر الى عمقيه الداخلي والخارجي.

6.1. في العمق الداخلي:

6.1.1. تعلم اللبنانيون مآسي فك أوصال الدولة ونتائج صراع أعمى على الهويات والسلطة

وصولاً الى حرب أهلية مدمرة. أما بقية الشعوب في المنطقة التي كانت المحكومة

بالقوة والتي استعادت الحرية فهي تتعلم بالعذاب ثمن عدم استعمال تلك الحرية بروية.

6.1.2. تعلق اللبنانيين العميق، ومن كل الطوائف والمشارب، بلبنان وفرادته في تعايشه وحياته

6.1.3. إرادة العيش المشترك في لبنان هي أقوى بكثير اليوم من تلك المتوفرة عند إعلان لبنان

الكبير سنة 1920. إرادة العيش المشترك والقيم الجامعة تزايدت منذ 1920 في لبنان،

بينما هي تضاءلت في كل من العراق وسوريا، خصوصاً بعد أن أدت القومية العربية

المفرطة إلى الإنهيار (كما الشيوعية في الإتحاد السوفياتي) في كل من العراق وسوريا

وليبيا.

6.1.4. إرغام إسرائيل على ترك لبنان واستشهاد الرئيس الحريري وثورة الأرز وشهداؤها (وفي

مقدمتهم الشهيد بيار أمين الجميل) أعطت كلها زخماً وطنياً جديداً للبنان، بعد الوهن

الذي أصابه منذ سنة 1975

6.1.5. بروز حالات شعبية مدنية تضغط لمحاربة الفساد وتقوية المواطنة والدولة المدنية وهو

نضال مخلص "سيادي" لأنه يقوي الدولة. "بيروت مدينتي" خير مثال على ذلك.

6.1.6. عودة أحزاب المسيحيين إلى الدولة سياسياً وإدارياً، بعد الإحباط والإبتعاد عن الدولة...

وإن مع ملل من عدم وجود الشريك السياسي الفعلي حتى الآن لصناعة دولة فعالة

منتجة وعادلة ولجم طمع القوى الطائفية وزبائنتها عندهم أو عند غيرهم.. إن هذا

الملل سوف يترجم على مستوى النظام السياسي غداً...

7. على ضوء هذا التوازن بين قوى الجذب في المدى القصير، ولكل هذه الأسباب والضبابية الإقليمية،

على اللبنانيين التحلي "بالصبر الإستراتيجي" والتصرف بحكمة وضمن لعبة سياسية مضبوطة من كافة

الأفرقاء المعنيين وخلق تفاهات حولها تحد من الخطورة إن لم تثمر حلولاً.

علينا أن نفهم بعمق معادلات الإستقرار الحالي، مع عدم المس بقواعده ومنتظر انقشاع الرؤيا الخارجية؛

وعلى المسيحيين تحديداً الدخول على معادلة التوازن الوطني بحنكة وذكاء وليس عنوة وبالعهجية

والمحاصصة بمنطق إعادة الحصص المسلوقة، بل بمشروع عملي وصادق لإنقاذ وإعادة البناء السياسي

لإنشاء دولة جدية وشراكة منتجة،

أيضاً، أمام حزب الله والطائفة الشيعية، قرارات صعبة بين خياراتهم داخل لبنان ومع اللبنانيين وخياراتهم على

مستوى الإقليم ومع إخوتهم الشيعة العرب والإيرانيين.

وعلى تيار المستقبل العودة ببساطة إلى عمق رؤوية رفيق الحريري للبنان (والمحققة في دبي!) والسؤال هل

يُمكن للدور الذي يراه لنفسه في لبنان إمكانية نجاح، إذا لم يكن طبيعة محاربي الفساد عنده وعند غيره؟

7.1. الإستقرار الحالي جدي وعميق وهو ضَمَن المشاركة من قبل الجميع مع تأمين المتابعة والمساعدة

الدولية التي صنعتها في الأساس؛ المعادلة الأساسية هي :

7.1.1. طالما أن حزب الله عنده سلاح خارج الدولة، تعود الأمرة الشرعية الحكومية للسنة

الممثلة بتيار المستقبل لكي تحتمي في الدولة من السلاح خارجها دون اللجوء إلى

التسلح الذاتي ولكي تواجهه من خلالها الجهاد التكفيري، أي أن الدولة تحمي الجميع

بمن فيهم حزب الله الذي يريد استقرار لبنان وهو متفرغ للحروب الإقليمية..

7.1.2. اللبنانيون مختلفون جذرياً حول سوريا وأطراف الحرب الأهلية فيها، ولكنهم اتفقوا على

أن يتصارعوا خارج لبنان وليس في داخله، وهذا إنجاز تاريخي.

7.1.3. إتفاق دولي، إقليمي ومحلي على دعم الجيش والمؤسسات الأمنية التي زادت فعاليتها

في كل المجالات.

7.2. والسؤال المهم: لماذا لم تستمر تلك الجهود لإنخابات رئاسة الجمهورية؟ رغم أن حركة السفير

الأمريكي السابق، قبل انتهاء ولايته، كانت تسهيل وتسويق ترشيح الأستاذ فرنجية... المعادلة

لرئاسة الجمهورية مختلفة

7.2.1. هي كمستديرة من دون شرطي سير، تتقاطع حولها 4 أو 5 أوتوسترادات مزدحمة. تبدو

مرتبطة أكثر بالتوقيت الإقليمي الملائم ، وأيضاً بإرادة حزب الله في تغيير في النظام،

تجلى من خلال طرح المؤتمر التأسيسي، والإرادة في تغيير الأكتريية النيابية، من خلال

طرح قانون الإنتخاب، والتوجه السياسي العام، من خلال تشكيل الحكومة وشخص

رئيسها وبيانها الوزاري، والمطالبة المسيحية بتأمين الشراكة والمناصفة التي نصّ عليها

الطائف، واستقتال "حكام ما بعد الطائف" على البقاء في السلطة.. الحكومة السلامية

تدبير آني للمحافظة على الإستقرار دون أن تحكم براحة إلى أن تنتهي الحروب

الإقليمية فيعود عندها طرح المواضيع الأساسية.

7.2.2. المصلحة الأمريكية قضت بالإستقرار وأيضاً بعدم خلق أي مناخ يُمكن أن يخرّب

المحادثات النووية مع إيران، خاصة أن أمريكا أمنت الإستقرار من خلال الحكومة

السلامية، ومحاربة الإرهاب عبر الجيش، والضغط على تبييض الأموال عبر مصرف لبنان... فما فائدة رئيس قد يؤزم المفاوضات مع إيران؟ حزب الله يقول بمعادلة: جيش - شعب - مقاومة.. أين الدولة والرئيس؟ وأمريكا تقول بمعادلة: مشاركة سياسية جامعة - جيش - مصرف لبنان.. ولو بدون رئيس... ولطالما قالت في الكواليس لحلفائها: تريدون رئيساً، اتفقوا مع حزب الله!.. وهذا ما يحاول الرئيس سعد الحريري ونبيه بري ووليد جنبلاط فعله منذ زمن..

8. إذن، سيظلّ لبنان يهتز (Vacillating)، فهل يمكن أن يهوي؟

8.1. هنالك عوامل يمكن أن تغير الوضع اللبناني في العمق على المدى المتوسط..

- الإنتشار الأصولي في لبنان.. إذا حدث ضمن أحد المكونات.
- محاولة بعض الأطراف فرض أمور مهمة بالقوة أو الذهاب لإستشهاد جماعي... أو اعتبار أن حالة فوضى معسكرة شبيهة بأوضاع الصومال هي الحل الوحيد لعدم زواله... مع الأمل بالتعلم من الماضي بأن عرفات اتبع تلك الإستراتيجية في لبنان وارتدت عليه.. الميليشيات أيضاً... ولكن السعر المدفوع من لبنان كان باهظاً في حينه، أما اليوم، فسوف يكون الإفلاس لأن الوضع في المنطقة أيامها كان مضبوطاً واليوم هو في فوضى مطلقة!
- أن ينشأ في "سوريا المفيدة" وضع غير قابل للحياة إلا بالاندماج مع لبنان أو مع جزء منه.. مما يضع عندها كل المكونات اللبنانية أمام خيارات صعبة ومتناقضة! تحديداً، إذا كانت "سوريا المفيدة" غير قابلة للدفاع عن نفسها دون مساعدة إيران من خلال حزب الله، فما هو خيار هذا الأخير بين الكيان اللبناني وكيان أكبر ضروري للدفاع عن نفسه، كما يعتقد؟

■ إذا فشل المسيحيون في استعادة ما يعتبرونه حقهم في النظام اللبناني.. فالإلى أي مدى سوف يذهب بعضهم في رفض ذلك؟

■ إذا استحال التزاوج بين إصرار حزب الله بالتمكن بحرية من قراره الإستراتيجي ومندرجات ذلك مع إصرار الآخرين على وضع ذلك القرار ضمن الدولة !

■ إذا لم تحقق المشاركة المسيحية ولم يتفاهم حزب الله مع الآخرين حول السلاح وعلاقاته بالدولة ويقصى الفاسد عن الحكم، لن تنشأ دولة، وهي أصلاً ضعيفة منذ الولادة، ألن يؤدي كل هذا الإحتقان إلى انهيار الدولة فالكيان في لبنان؟

■ والأخطر، يكمن في خطر عدم عودة النازحين واللاجئين، والذي سيفرض بقاؤهم في لبنان تغييراً جذرياً عليه وعلى تركيبته.

9. لكي لا يهوي لبنان، على قوى الجذب الداخلي أولاً أن تتعرف على بعضها وتحالف وأن تظل أقوى من

قوى وعوامل الجذب الخارجي وعليها مواجهة تحديات قوية بسرعة:

9.1. إنتخاب رئيس للجمهورية هو عنوان حماية وحدة لبنان من تغييرات في المنطقة:

9.1.1. يدير المفاوضات الوطنية لسد ثغرات النظام السياسي الحالي الكبيرة والتي بانّت من

تجربة العشر سنين الماضية، منها منع الفراغ في الرئاسة الأولى، تشكيل الحكومات،

اللامركزية، الإنتخابات والأكثرية البرلمانية وغيره... انطلاقاً من التجربة لا

المحاصصة.

9.1.2. يُعيد إحياء الوضع المزري للدولة والوضع الإقتصادي العام وأثرهما الهدّام في إضعاف

قدرة الدولة المركزية السريع، خاصة مع الإجراءات الأمريكية الخليجية ضد حزب الله

وأزمة أسعار النفط ووقوعها على اقتصاديات دول الخليج وأفريقيا حيث الإغتراب اللبناني

موجود بقوة.

9.2. امتصاص موجة الإرتداد القوية على تدخل حزب الله خارج الحدود وأيضاً إذا وعند عودة حزب الله من فترة التوسع الإقليمي؛ فلنتذكر أن أحداث 7 أيار 2008 في لبنان، كانت نتيجة موجة ارتداد حزب الله سنة 2006 مع إسرائيل. والتحدي الأكبر هو (1) إمكانية وكيفية مزوجة الكيان اللبناني مع الدور والطموح الإقليمي وسلاح حزب الله؟ (2) والتفاهم مع حزب الله مرتبط بديهيّاً بتعديلات في النظام، وبالتمكن من فتح لعبة الإنتخابات اللبنانية لتمكن الراح من تشكيل أكثريات تحكم بناء على خطوط عريضة في السياسة الإقتصادية الإجتماعية لمصلحة جمهوره، وخارجياً في خلق المناخات والسياسات التي تسمح للبنان بأن يكون علاقات مع إيران توازي علاقاته مع بلدان كالسعودية والإمارات وغيرها من الدول العربية وتركيا وفرنسا...تحت سقف العقد الوطني والميثاق والدستور واحترام سيادة الدول، مهما صغيرة كانت.

9.3. خلق القوة السياسية والشعبية والإعلامية والقضائية لوقف فساد أكثرية الطبقة الحاكمة عبر استمرار حراك شعبي قوي ضمن الأصول والقوانين حتى الوصول بقوانين وسياسيات وحركات تحرر وتحفز القضاء والمواطن والمسؤول والقاضي على محاربة الفساد. (وهنا ، حقيقة، أحيي جدية وجهد الشيخ سامي الجميل في هذا المجال).

9.4. وعلى المجتمع الدولي مساعدة لبنان في كل التحديات، تماماً كما حدث في تشكيل الحكومة السلامية وتفهم قدراته وعدم الضغط عليه حتى فرطه أو فرض فتنة داخلية عليه...

10. ختاماً، اللبنانيون لا يقدّرون بالشكل الكافي ما حققوه في المئة السنة الأولى بعد إعلان دولتهم ولا يعرفون بعد كيفية تثميره ولا يعملون لجعله مستداماً...

- انتصار الثقافة الإنسانية على القومية الشوفينية وعلى الحدة والغلو الطائفي والديني..
- حرية فردية وحقوق إنسان في منطقة لا تعرفها.
- مساواة بين مكونات دينية وطائفية وحرية شخصية في منطقة لا تعرفها كلها.
- المثال الوحيد في المنطقة حيث السنة والشيعية والأكراد والأرمن يتعايشون ويتحاورون والمسيحيون متساوون مع المسلمين.
- مثال للعالم بأن التعايش الحر والمتساوي مع الإسلام ممكن ومنتج؛ أنا أفخر بأن المشروع اللبناني أنتج مسيحياً عربياً ثقافة وانتماء، وأنتج إسلام لبناني، بوجهيه السني والشيعي، مختلف عن ومتقدم على كل ما حوله.

مع الأسف، اللبنانيون باتوا لا يحلمون ولا يعملون بالإمكانات والمجالات المفتوحة أمامهم بلعب دور إقليمي مقبول ومرحب به من أجل السلام والتنمية وحقوق الإنسان والمساواة بين المواطنين.. ونقل خبرتهم وثقافتهم بالتعايش... أي أن لبنان يفتقد إلى قيادة ترى لبنان بحجم مثاله ودوره وليس فقط بعمق جيوبها ومصالح زبائنيته.

10.1. أرى وعي وقدرة سياسية محلية ناشئة وواعدة ولكنها غير كافية بعد لمواجهة التحديات والمخاطر

العاتية الموجودة الآن في وجهنا، إن لم ينخرط فيها أيضاً الساسة "الكبار"؛ ولا أرى قدرة للدولة ومؤسساتها وحكامها للتعاطي مع هذا الكم والحجم من التحديات.. ولا أرى أن زعماء بعض

الطوائف الذين استلموا الحكم منذ الفترة السورية بعد الطائف وحتى اليوم مستعدون ليعوا أن تلك الفترة انتهت وأن حزب الله يريد حريته الإستراتيجية أولاً و تغييراً في النظام والموقع فيه وإن المسيحيين يطالبون بالعودة إلى أخذ موقعهم العادل في البلد الذي أنشأوه مع سايكس وبيكو وظل واقفاً رغم كل المحن، بينما هوى معظم الآخرين.. وبأن الشعب يريد التغيير وكبح الوحوش الفاسدة.....والآ.

على أمل أن يأتي رئيس قادم للجمهورية بحجم المخاطر والمشاكل وعنده الحنكة والخبرة والمرونة والدعم لحلها، وعنده الرؤية والمرونة السياسية والمعرفة لتطوير الوفاق والنظام اللبناني على ضوء التجربة المعاشة وليس المحاصصة، وباتجاه الدولة المدنية ولديه الحلم في أن يجعل لبنان كبيراً في مثاله وتأثيره ورسالته بعد أن كان في المئوية الأولى منذ تكبيره، مستحقاً في المشروع، ناجحاً في الكيان، فاشلاً في الدولة وصغيراً في دوره الممكن والمطلوب.

روجيه ديب

وزير سابق